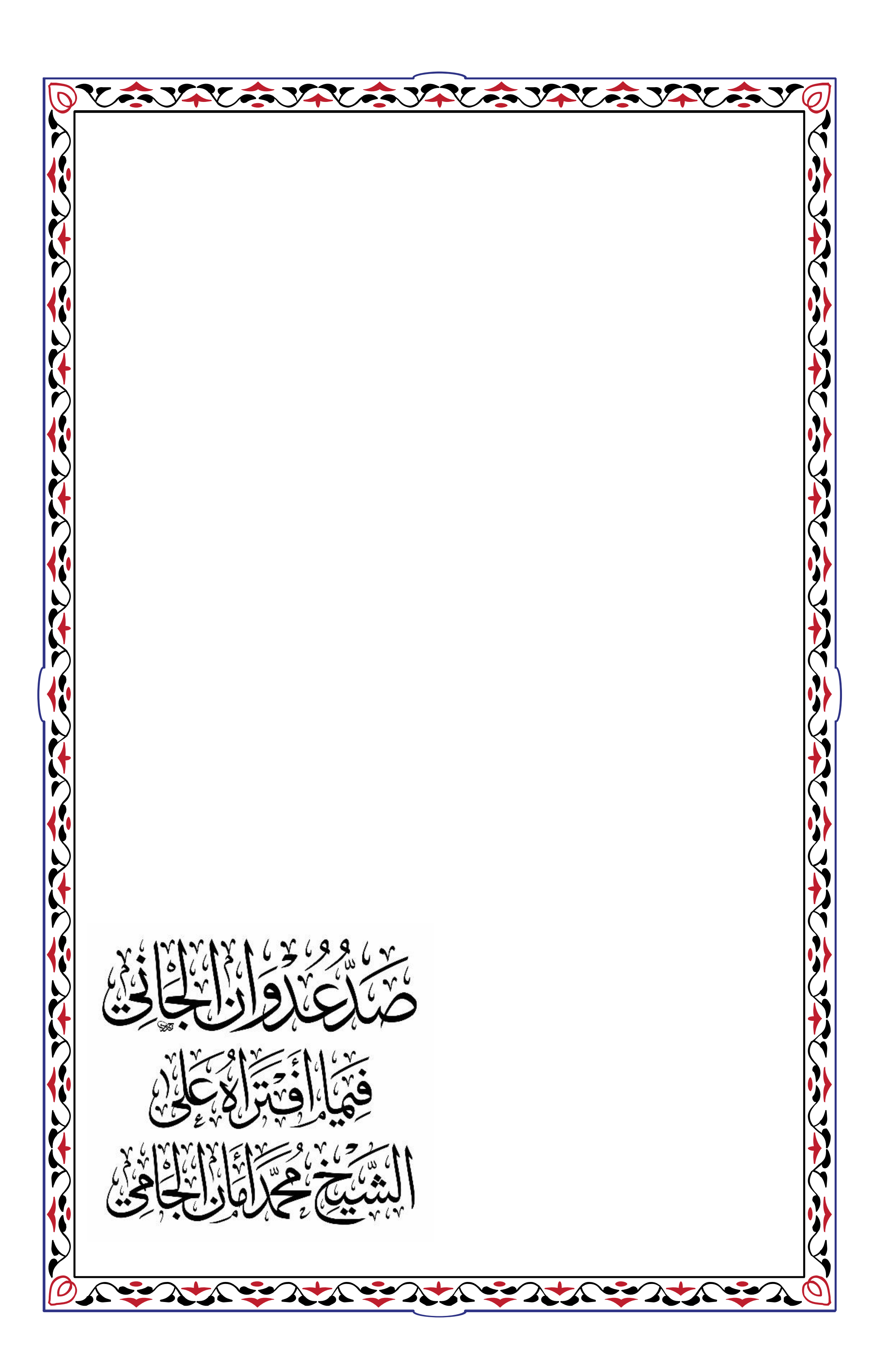
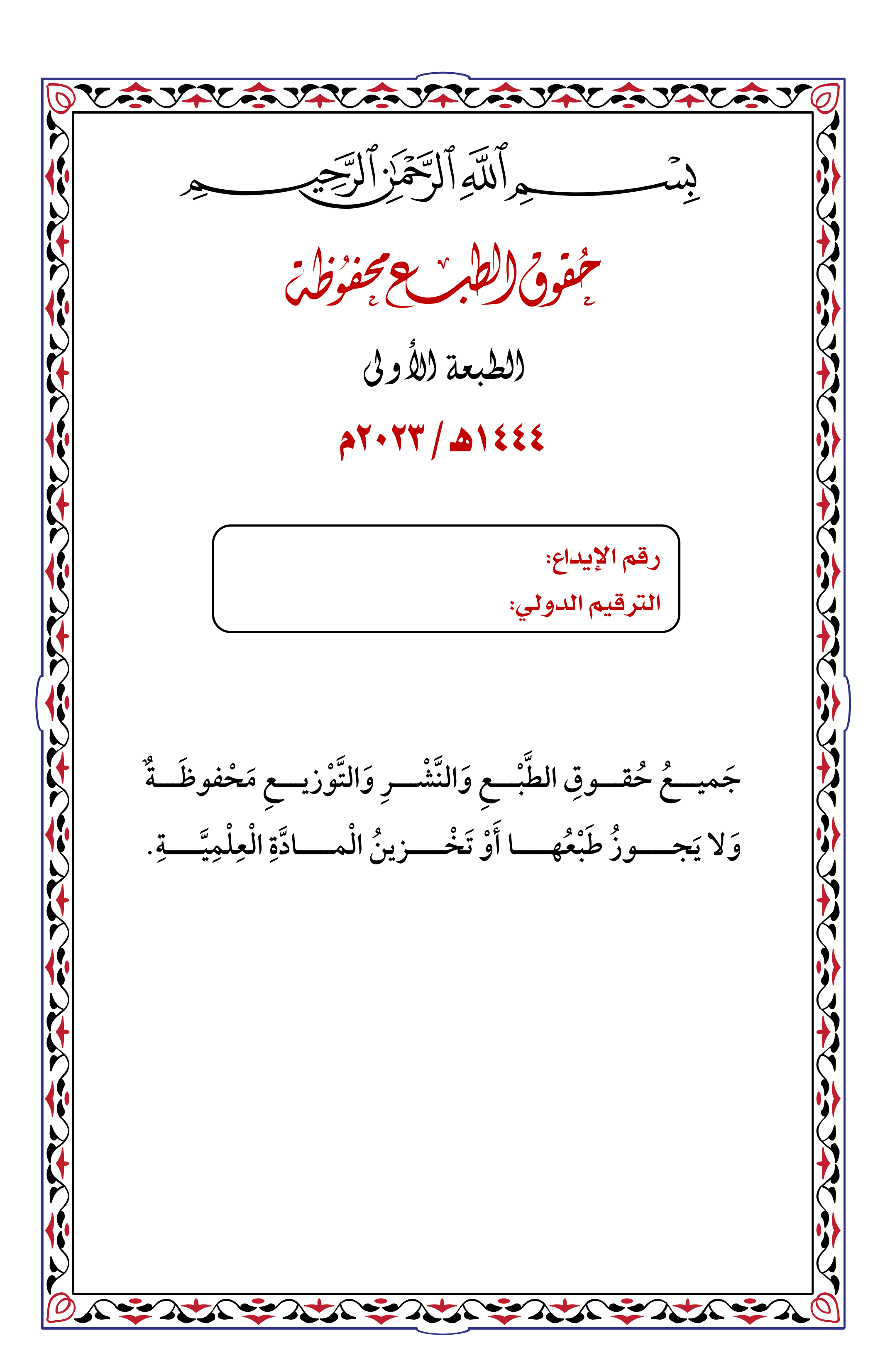
صَدُّ عُدوانِ الجانِي
فيما افتراه على
الشيخ محمد أمان الجامي

إعداد
أحمد بن يحيى بن خضر الزهراني


صد عدوان الجاني
فيما أفتراه على
الشيخ محمد أمان الجامي



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

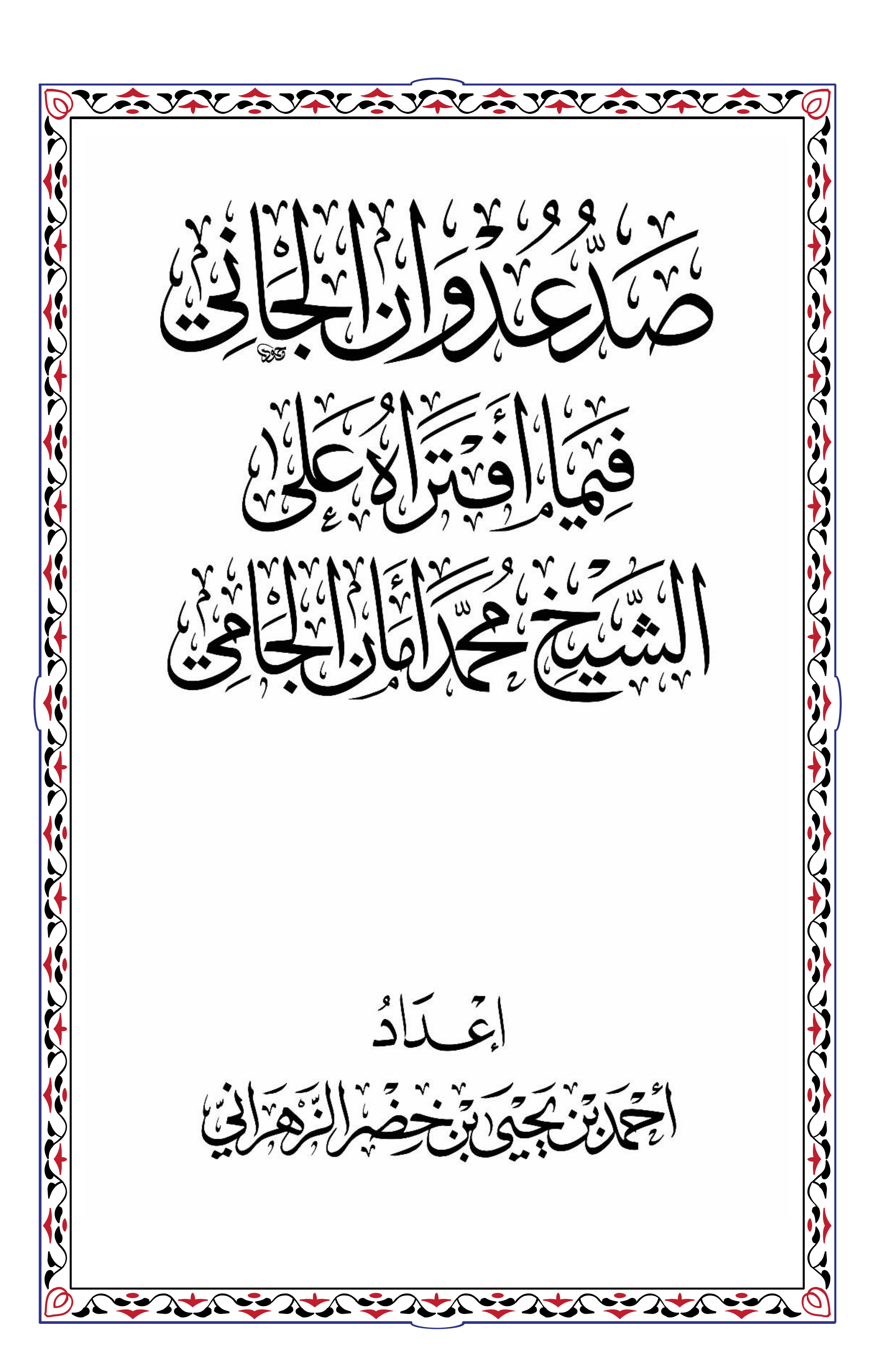
حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

رقم الإيداع:

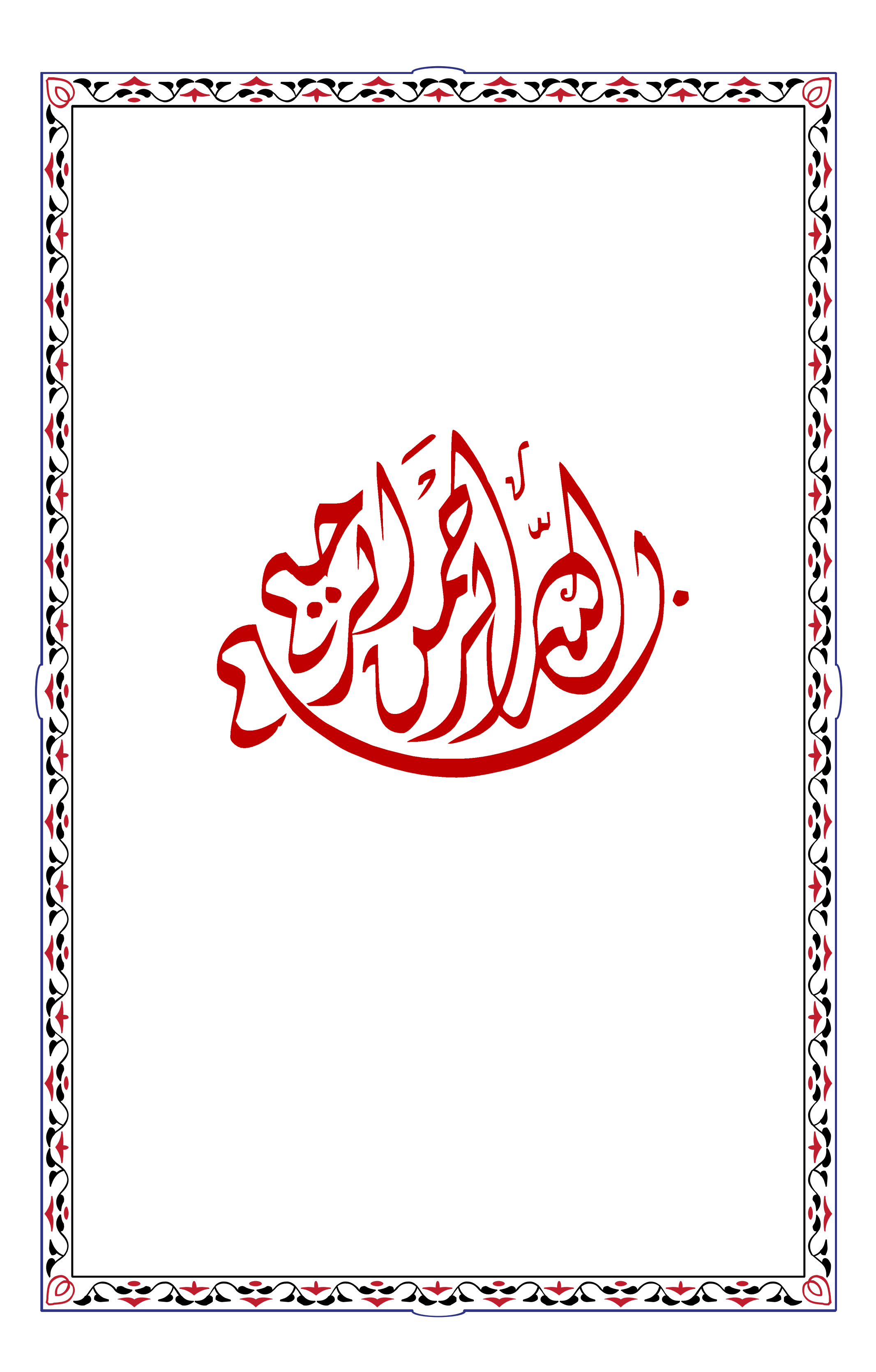
الترقيم الدولي:



صد عدوان الجاني فيما افتراه على الشيخ محمد أمان الجامي

إعداد

أحمد بن يحيى بن خضر الزهراني


بسم الله الرحمن الرحيم



تمهيد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فهذا بحث قديم نشرته في شبكة الإنترنت، وقام بعض الفضلاء بتنسيقه وإخراجه في حلة جميلة، فجزاه الله خيرا.

وهذا البحث من أوائل بحوثي، وأشرف عليّ فيه شيخنا الإمام العلامة ربيع بن هادي عمير -حفظه الله-، فكان نعم الموجه والمحفز والناصح، فجزاه الله خيرا.

ونقدمه للقراء الكرام كما هو على حالته السابقة مع بعض التعديلات والإضافات اليسيرة.

نسأل الله لنا ولمن يعز علينا الثبات على الإسلام والسنة، وأن يختم لنا ولمن يعز علينا بالخاتمة الحسنة، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم أجمعين.

كتبه: أحمد بن يحيى بن خضر الزهراني

في يوم الثلاثاء ٨/ ٨/ ١٤٤٤هـ





مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد، فإن الشيخ العلامة محمد أَمان بن علي الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من العلماء الأفذاذ والمعروفين بسلامة العقيدة والصلاح والاستقامة والسير على منهج السلف الصالح -رضوان الله عليهم-.

وقد لا يعجب بعض الناس مثل هذا القول، ولكنه الحق الصراح، وهو ما نطق به كثير ممن يعرفون الشيخ حق المعرفة.

ولو لم يقل ذلك إلا الخبير به إمام السلفيين في هذا العصر الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لكفى ذلك شرفا ونبلا.

حيث قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«وإخواننا المشايخ المعروفون في المدينة ليس عندنا فيهم شك، هم من أهل العقيدة الطيبة، ومن أهل السنة والجماعة، مثل الشيخ محمد أمان بن علي

الجامي، ومثل الشيخ ربيع بن هادي، ومثل الشيخ صالح بن سعد السحيمي، ومثل الشيخ فالح بن نافع[١]، ومثل الشيخ محمد بن هادي[٢]، كلهم معروفون لدينا بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيبة. نسأل الله لهم المزيد من كل خير، والتوفيق لما يرضيه» اهـ[٣].

وبعد هذا الثناء العاطر من إمام العصر يأتي أناس لا يلقون لقوله بالا، ويخالفونه حالا ومقالا، فيشككون في عقيدة الشيخ العلامة محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، ويرمونه بالقول بوحدة الوجود، وهو منها براء براءة الذئب -كما يقولون- من دم يوسف -عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، وهذا كذب وزور وبهتان منهم -عاملهم الله بما يستحقون-.

بل كان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ذاما ومنتقدا ومحذرا من هذه اللوثة الخبيثة والفكرة الغريبة التي سرت في أوساط كثير من الناس، حتى ظنوا أنها العقيدة الصحيحة،

(١) وقد رد عليه شيخنا العلامة ربيع بن هادي عمير -حفظه الله- في عدة مقالات، انظرها في مجموع مؤلفات الشيخ (٩/ ٩-٤٤٠).

(٢) وقد رد عليه شيخنا العلامة ربيع بن هادي عمير -حفظه الله- في مقال بعنوان «تعليقات على طعونات الشيخ محمد بن هادي في أناس أبرياء مما يصفهم به».

انظر: تعليقات-على-طعونات-الشيخ-محمد-بن-هادي-ف/ https://rabee.net.

(٣) انظر: «**مدارك النظر**» (ص٤٠٩) ط. الرابعة مكتبة الفرقان.

فغرق في بحرها الكثير من الرموز -على حد تعبيرهم- كأمثال: ابن عربي، وابن الفارض، وسيد قطب، وغيرهم[١].

وانبرى الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- نصرة للحق، وبيانا لعقيدة السلف الصالح، ودفاعا عنها، ونصحا للخلق، ورحمة بهم، وشفقة عليهم أن يقعوا في شباكها وحبائل دعاتها، فبين، وحرر، وفند، وحذر بأسلوب سهل وميسر -يفهمه كل قارئ- من هذه اللوثة الحلولية وما يتعلق بها؛ وسأورد كلامه لاحقا.

وأما الكلام الذي اعتمد عليه بعض الأغمار فيما نسبوه إلى الشيخ من القول بوحدة الوجود على كلام له نقلوه، ولم يحققوه، وسأورده تاما مشيرا بالتحبير إلى ما نقلوه وبعدمه إلى ما لم ينقلوه، وأبين وجه الصواب فيه دون ميل ولا حيف.



(١) ولكنهم لا يذكرونهم بذلك خشية أن يسقطوا، فيسقطوا معهم!

قال المنتقد:

قال الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتاب «**طريقة الإسلام في التربية**» (ص١٦): «وإذا مهمة العقيدة أن تطلق الروح، وتخرجها من حجابها؛ لكي ترى الله وتتصل به مباشرة وبدون واسطة...، فالطاقة الوحيدة في كيان الإنسان المعفوة عن الحدود والقيود هي طاقة الروح وحدها، إذ هي تملك الاتصال بما لا يدركه الحس والعقل، وهي التي تتمتع وحدها بالاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي...، ولكن الإنسان يكاد يحس بسبحة الروح الطليقة، عندما تجوب آفاق الكون وتتصل بكل حي في هذا الكون» اهـ.

قال المنتقد:

وقال في (ص١٠): «...؛ لأنهم يستمدون قوتهم من قوة خالقهم، فهم من الله، وقوتهم من قوة الله...، فهكذا يربي الله الإنسان حتى يدرك أن منه المنشأ وإليه المصير» اهـ[1].



(١) انظر: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» (ص٥٤)، وهذا كتاب ظاهره الرحمة وباطنه الكذب والافتراء والغش والخداع، قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ [البقرة: ٩-١٠]. ومن المرض الذي وقع فيه المؤلف مخالفته الصريحة للنص النبوي الذي عنون به كتابه، فهو لم يردع الظالم عن ظلمه، ولم يعط المظلوم حقه، بل عكس القضية، فنصر الظالم -وإن أول صفات الله، وأساء الأدب مع أنبياء الله، ونال من عرض أفاضل الصحابة، وقال بخلق القرآن ووحدة الوجود-، وأشاد به، ودافع عنه بكل ما أوتي من قوة، وعلى طريقة هذا الكتاب يكون كل من =

تكلم فيه، وحذر منه من أهل البدع والأهواء مظلوما له النصرة والتأييد على الناصحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟!

وأما المظلوم الذي نصر الدين وذب عن حملته من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم كيلت له الشتائم والسباب كيلا، وألصقت به التهم لصقا، وهو منها براء، فانقلبت الموازين والفطر، فأصبح الظالم سيد قطب وأمثاله وأعوانه مظلومين -وهم لأصول الدين هادمون وفي أهل الأثر واقعون-، وأصبح الشيخ محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله- ظالمين؛ لأنهما كشفا حقيقة أهل البدع والضلال كسيد قطب ومن سار على دربه وأثنى عليه.

ولكن أيها المؤلف! أين التثبت؟ أين الإنصاف؟ أين العدل؟

أليست هذه الأصول من منهجكم، وتنادون بها؟ ولكن متى؟ حين يسقط الظلمة، وتظهر حقيقتهم، تظهر هذه المبادئ والأسس والأصول!

ويكفي لرد غيك وظلمك ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من ثناء عاطر على الشيخين الفاضلين الشيخ محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله- حيث قال: «وإخواننا المشايخ المعروفون في المدينة ليس عندنا فيهم شك، وهم من أهل العقيدة الطيبة، ومن أهل السنة والجماعة، مثل الشيخ محمد أمان، ومثل الشيخ ربيع بن هادي، ومثل الشيخ صالح بن سعد السحيمي، ومثل الشيخ فالح بن نافع، ومثل الشيخ محمد بن هادي، كلهم معروفون لدينا بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيبة. نسأل الله لهم المزيد من كل خير، والتوفيق لما يرضيه» اهـ.

فهؤلاء هم المظلومون؛ لأن شعارهم ودثارهم اتباع منهج السلف الصالح ونبذ ما يخالفه من آراء وتصورات واتجاهات وأفكار وتكتلات وتحزبات، كل ذلك حرصا على وحدة الأمة والسير بها على منهج الرعيل الأول، ولكن الظلمة أتباع الأشاعرة والخوارج وكل ناعق -كسيد قطب ومحمد قطب وعبد الرحمن عبد الخالق والقرضاوي وغيرهم لا كثرهم الله- لا يروق لهم ذلك بل يريدون إزهاق النفوس وإسالة الدماء في غير وجهتها؛ لأن منهم للحكام مكفرين، وللعلماء مخونين، بل مرجئة وعملة للحكام. فهل بعد هذا كله يصبح هؤلاء مظلومين؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم! عامل الله مؤلف كتاب الظلم بما يستحق.

هذا ما اعتمد عليه الغمر في دعواه! وفي -وبينه- الكلام سقط، وعدم ترابط، ونورد كلام الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على الجادة.

الموضع الأول:

قال الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«**وإذا مهمة العقيدة أن تطلق الروح، وتخرجها من حجابها؛ لكي ترى الله وتتصل به مباشرة وبدون واسطة**، لذا نرى الإسلام يعني بالروح عناية خاصة؛ لأنها في نظر الإسلام هي القاعدة التي يستند إليها الكيان كله، ويتم الترابط عن طريقها، وهي الموجهة إلى الله، ومعلوم أن للإنسان طاقات عديدة، طاقة الجسم، وهي لا تتجاوز كيانه المادي، وما يدرك بالحواس، وهي طاقة محدودة كما ترى.

أما طاقة العقل، فهي أكثر انطلاقا طبعا إلا أنها محدودة أيضا بما يعقل، وبالزمان، والمكان، والبدء، والنهاية.

فالطاقة الوحيدة في كيان الإنسان المعفوة عن الحدود والقيود هي طاقة الروح وحدها، إذ هي التي تملك الاتصال بما لا يدركه الحس والعقل، وهي تتمتع وحدها بالاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي؛ لأنها تملك الاتصال بالله ومعرفته بآلائه ونعمائه[1]، وإن كنا نجهل كنه الروح وكنه الاتصال بالله، وما أكثر ما نجهل كنهه وحقيقته، ونحن نؤمن به وبوجوده، ولكن الإنسان يكاد

(١) حذف ذاك الغمر هذه الجملة التعليلية ليوهم القارئ أن الشيخ يقول بوحدة الوجود! فتأملها، وكن على حذر من أولئك الأغمار وخداعهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

يحس بسبحة الروح الطليقة عندما تجوب آفاق الكون، وتتصل بكل حي في هذا الكون. لهذا اهتم الإسلام بأمر الروح في جملة اهتمامه بالطاقات البشرية كلها وأعطاها حقها من الرعاية والتوجيه وركز على الروحِ، وهي من أمر الله ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]» اهـ.

الموضع الثاني:

قال الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«وأما الإسلام، الإسلام وحده هو الذي يصل الإنسان بخالقه ليصلح حاله في الأرض، وينظم حياته، ويمشي على الأرض بجسمه، وهو متوجه إلى السماء بروحه ليعيش بين الأرض والسماء، ولا يقطع صلته بأيتهما. يمشي على الأرض، يكد ويسعى في رزقه، وهو متصل بالسماء: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٠]. وهذا الاتصال بالسماء بهذه الصورة التي صورها القرآن هو محور العقيدة الإسلامية ومنهجها التربوي، ومن الاتصال بالله تتفرع التشريعات والتنظيمات والتوجيهات حتى يمكن للحياة البشرية أن تسير على منهجها المستقيم دون تفريط أو إفراط ليعلموا أن الله وحده صاحب الحول والقوة والعزة والجبروت والسلطان، وهو مالك الكون ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وهذا العلم يحملهم على عدم التطلع إلى أحد سواه، بل يتوكلون عليه وحده، ويكتفون به ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ويغمضون عيون

قلوبهم بحيث لا يلتفتون إلى غيره، ومن ثم تتحرر قلوبهم وأرواحهم ليتطلعوا إلى الله، بل لينطلقوا إليه خفافا يحدوهم الحب الصادق له -سبحانه-، وينطلقوا لخالقهم، وولي نعمتهم، وشوقهم إلى لقائه، وهو أسمى أمانيهم، أجل... إن هذا الرد يجعلهم يدركون الأمور على حقيقتها، وأن منهج الله هو المنهج الصالح وحده، فيلتمسون الهدي في منهجه ليهتدوا بهديه، ويسيروا على ضوئه، فتصلح حالهم في الأرض، وتقوى بذلك صلتهم بالله، وثقتهم به، بل يكسبون من هذا الاتصال قوة تفوق قوى الأرض كلها؛ **لأنهم يستمدون قوتهم من قوة الله خالقهم، فهم من الله، وقوتهم من قوة الله**، إذ هي قوة تبني، وتنشئ، وتعمر، وتصلح، وهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضا ليعمروها، ويصلحوها، ويقيموا فيها العدل، ويستغلوا خيراتها وثرواتها ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ولا يعرف العجز والكسل إلى نفوسهم سبيلا، بل يواصلون سيرهم بقوة دونها جميع القوى وبثقة دونها كل الثقات.

هكذا يربي الله الإنسان حتى يدرك أن منه المنشأ، وإليه المصير ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٥-١٠]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣]، فمنهج الإسلام في التربية فريد في بابه، في إحاطته بجميع جوانب الإنسان، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه منهج الله الخالق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]،

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]» اهـ[١].

الكلام السابق ذكره كان الشيخ متأثرا به، وعن حسن ظن في سيد قطب وأخيه، فلما تبين له ما هما عليه من مخالفة لمنهج السلف الصالح بين، وحذر منهما في غير ما موضع[٢]، وهاك بعض ما نقله الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عنهما في هذا الصدد.

قال سيد قطب: «كما يعرض صورة من تأليه العباد للعباد لا تتمثل في اعتقادهم بألوهيتهم، ولكن تتمثل في تلقي الشرائع منهم، وجعلهم بذلك أربابا، ولو لم يعتقدوا بألوهيتهم، أو يقدموا لهم شعائر العبادة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. وهكذا. وهكذا. يستمر القرآن في توكيد هذه العقيدة، وتثبيتها،

---

(١) انظر: «**مجموع رسائل الجامي**» (ص٢٨٨-٢٨٩).

(٢) قال الشيخ محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «كتاب الظلال لسيد قطب ليس تفسيرا أثريا، ولا تفسيرا لغويا، ولكنه إنشاء، وخلط، وخبط بين آراء الأشاعرة، وآراء وحدة الوجود، وآراء المتصوفة، وهو أشعري، ولا نزاع في ذلك، وأنصح صغار الطلبة في عدم قراءة كتابه الظلال، كما أنصح كبار الطلبة، أي: من طلاب العلم، أن يقرؤوه ليبينوا لصغار الطلبة ما فيه من الباطل من باب النصيحة». انظر: «**براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة**» (ص٦٢).

وتوضيحها، ليصل إلى تحرير الوجدان البشري من كل شبهة شرك في ألوهية أو ربوبية قد تضغط هذا الوجدان، وتخضعه لمخلوق من عباد الله، إن يكن نبيا أو رسولا، فإنه عبد من عباده لا إله!

فإذا انتفى أن يكون عبد بذاته أميز عند الله من عبد بذاته، انتفت الوسائط بين الله وعباده جميعا، فلا كهانة، ولا وساطة، بل يتصل كل فرد صلة مباشرة بخالقه. يتصل شخصه **الضعيف الفاني بقوة الأزل والأبد**، يستمد منها القوة والعزة والشجاعة، ويشعر برحمة الله وعنايته وعطفه، فيشتد إيمانه وتقوى معنويته.

والإسلام حريص كل الحرص على تقوية هذه الصلة، وإشعار الفرد أنه يملك الاستعانة بتلك القوة الكبرى آناء الليل وأطراف النهار: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣]. وقد شرع الإسلام خمس صلوات يقف فيها العبد كل يوم أمام ربه ويتصل فيها المخلوق بخالقه، في أوقات منظمة، غير ما يعن له هو أن يقف أمام إلهه، أو يتصل به في توجهه ودعائه.

وليس الغرض من الصلاة أو الدعاء ألفاظا وحركات، بل القصد هو التوجه الكامل بالقلب والفكر والجسد في وقت واحد إلى الله تمشيا مع تصور الإسلام الكلي عن وحدة الإنسان في تكوينه ووحدة الخالق في ألوهيته: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

فإذا تحرر الوجدان من شعور العبادة والخضوع لعبد من عباد الله، وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة، أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة... وهو شعور خبيث يغض من إحساس الفرد بنفسه، وقد يدعوه إلى قبول الذل، وإلى التنازل عن كثير من كرامته، وكثير من حقوقه، ولكن الإسلام، لشدة حرصه على أن يحقق للناس العزة والكرامة، وأن يبث في نفوسهم الاعتزاز بالحق، والمحافظة على العدل، وأن يضمن بذلك كله -علاوة على التشريع- عدالة اجتماعية مطلقة، لا يفرط فيها إنسان... لهذا كله يعني عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة، وعلى الرزق، وعلى المكانة، فالحياة بيد الله، وليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة، كذلك ليس له أن يخدشها خدشا خفيفا بضرر خفيف: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]... ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ [التوبة: ١٤٥]. ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]» اهـ[١].

(١) انظر: «العدالة الاجتماعية» (ص٣٥-٣٦)، وأيضا «في ظلال القرآن» (٥/ ٣٢٢٦).

وقال محمد قطب: «...ومهمة العقيدة هي مساندة الفطرة وتوجيهها وجهتها. مهمتها أن تساعد الفطرة في الاهتداء إلى الله... الاهتداء الذي هو كامن في كيانها ولو حجبتها عنه الأمراض.

مهمتها أن تطلق الروح من إسارها... لكي ترى الله.

والإسلام يعني عناية خاصة بالروح.

إنها في نظره مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه. إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله ويترابط عن طريقها. إنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان. إنها الموجه إلى النور. يكفي أنها صلة الإنسان بالله.

والإسلام -في عنايته الفائقة بتربية الروح- هو دين الفطرة.

فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته، وأعظمها، وأشدها اتصالا **بحقائق الوجود.**

طاقة الجسم محدودة بكيانه المادي وبما تدركه الحواس.

وطاقة العقل أكثر طلاقة، ولكنها محدودة بما يعقل. محدودة بالزمان والمكان. بالبدء والنهاية. ومحكومة بالفناء.

وطاقة الروح -وحدها- في كيان الإنسان هي التي لا تعرف الحدود والقيود. لا تعرف الزمان والمكان. لا تعرف البدء والنهاية. لا تعرف الفناء... هي وحدها التي تملك الاتصال بما لا يدركه الحس ولا يدركه العقل. هي وحدها التي

تملك **الاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي**... تملك الاتصال بالله. كما أنها هي التي تملك **الاتصال بالوجود** كله من وراء حواجز الزمان والمكان.

كيف؟ لا نعلم! لكنا نحس! نحس بإشراقة الروح الصافية التي تشمل الحياة كلها في ومضة وتشمل الآباد والآماد. نحس بسبحة الروح الطليقة التي تجوب آفاق الكون وتتصل بكل حي فيه، والكون كما يقول العلم كله حياة! نحس بتلك اللحظة الدقيقة العجيبة العظيمة الرائعة، التي يرتعش فيها الكيان كله، **ويحس في أعماقه أنه يرى الله!**

وقد كان طبيعيا إذن أن تهتم العقائد بأمر هذه الروح. وكان طبيعيا أن يهتم الإسلام خاصة بهذه الطاقة، وهو الذي جعل منهجه الاهتمام بالطاقات البشرية كلها وإعطاءها حقها من الرعاية والتوجيه» اهـ[١].

وما ذكره سيد قطب وأخوه حول قضية الاتصال، وما يتعلق بها، لا يعنيان به وحدة الوجود[٢]، بل ما كانت عليه الكنيسة النصرانية من أوهام وأساطير

---

(١) انظر: «**منهج التربية**» (١/ ٤١-٤٢) وَ(١/ ٢٠-٢١) منه.

(٢) قال سيد قطب بوحدة الوجود في غير ما موضع. انظر تفسيره (٦/ ٣٤٧٩ و٦/ ٤٠٠٢) حيث قال: «وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى، لعلها أضخم وأقوى. حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة. فالكينونة الواحدة الحقيقة هي لله وحده -سبحانه-؛ ومن ثم فهي محيطة بكل شيء، عليمة بكل شيء: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

=

=

الأول فليس قبله شيء. والآخر فليس بعده شيء. والظاهر فليس فوقه شيء. والباطن فليس دونه شيء. الأول والآخر مستغرقا كل حقيقة الزمان، والظاهر والباطن مستغرقا كل حقيقة المكان. وهما مطلقتان. ويتلفت القلب البشري فلا يجد كينونة لشيء إلا لله. وهذه كل مقومات الكينونة ثابتة له دون سواه. حتى وجود هذا القلب ذاته لا يتحقق إلا مستمدا من وجود الله. فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كل شيء وجوده. وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يستمد منها كل شيء حقيقته. وليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾... علم الحقيقة الكاملة. فحقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها. فهي مستغرقة إذن بعلم الله اللدني بها. العلم الذي لا يشاركه أحد في نوعه وصفته وطريقته. مهما علم المخلوقون عن ظواهر الأشياء!

فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في قلب، فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله -سبحانه-؟ وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود -حتى ذلك القلب ذاته- إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى؟ وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء؟

وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة. فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار، فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد وكفى!

ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال: إنه يرى الله في كل شيء في الوجود. وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود. وبعضهم = = قال: إنه رأى الله فلم ير شيئا غيره في الوجود... وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال. إلا أن ما يؤخذ عليهم -على وجه الإجمال- هو أنهم أهملوا الحياة بهذا التصور. والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها، بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة من احتفال وعناية وجهاد وجهد لتحقيق منهج الله في الأرض، باعتبار هذا كله ثمرة لتصور تلك الحقيقة تصورا متزنا، متناسقا مع فطرة الإنسان وفطرة الكون كما خلقهما الله» اهـ. وانظر أيضا ديوانه (ص١٢٣).

وسئل الشيخ محمد أمان -رحمه الله- عن رجل وقع في بدع كثيرة مثل القول بأن القرآن من صنع الله لا من صنع الإنسان ويقول عن موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أنه مثال للرجل المندفع العصبي المزاج؟

قال الشيخ: السؤال الأول: هل يجوز القول بأن القرآن من صنع الله وليس من صنع الإنسان؟ هذا كلام خطير فيه تلبيس على السذج؛ لأن الطالب الساذج إذا سمع بأن القرآن من صنع الله يفهم منه أنه كلام الله =

وتهاويل يدل على ذلك ما ذكره سيد قطب في كتابه «**السلام العالمي والإسلام**» حيث قال: «...فالنصرانية في منابعها الأولى صورة من الدين الواحد الذي أرسل الله به رسله جميعا. دين التوحيد الذي لا يجعل لله شريكا، والذي يطلق البشر من العبودية لشريك. ولكن الرومان الذين دخلوا في المسيحية ومعهم

=

وكلمة صنع، أي: مصنوع ومخلوق لله؛ الله صنعه. وصانع الكون كله وخالق الكون كله هو الذي صنع القرآن، أي: خلقه؛ هذا كفر بالله؛ لأن القرآن ليس بمصنوع، بل كلام الله، ويقول الله -تعالى-: ﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦] الكلام الذي سمعه المشركون وغير المشركين من رسول الله -عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- هو هذا القرآن بين دفتي المصحف، إذا القول بأن القرآن من صنع الله خطأ كبير، وفيه تلبيس على الناس. ويقول: إن موسى مثال للرجل المندفع العصبي المزاج. موسى من؟ كليم الله، أحد الرسل، أحد أولو العزم الذين انتقاصهم كفر وردة؛ من انتقص نبيا واحدا من الأنبياء انتقص جميع الأنبياء، فكفر. ومن أنكر رسالة واحد ونبوة واحد من الأنبياء كفر؛ لأن الكفر بواحد منهم كفر بالجميع. وهذا كلام العلمانيين الذين لا يقدرون الله ولا يقدرون رسل الله ولا كتب الله. إن كان هذا الكلام مسطر في الكتب ينبغي لهذا السائل بعد أن ينتهي من سرد هذه الأسئلة الجهنمية أن يذكر لنا ذلك الكتاب لننبه عليه. ويقول: إنه يقول بوحدة الوجود. وهل تعلمون معنى وحدة الوجود؟ لو كان الحضور جميعا طلاب علم لما احتجت إلى شرح وحدة الوجود لكن يكون هذا الصوت ربما يبلغ إلى من لا يتصور ما معنى وحدة الوجود. اضطر إلى بيان معنى وحدة الوجود؛ معنى وحدة الوجود: بأن هذا الكون كله عين واحدة، أي: لا يقال خالق ومخلوق، ورب ومر بوب. الكون كله شيء واحد وحدة الوجود دين ابن عربي الطائي، ليس ابن العربي المعروف، ابن العربي من أهل السنة -إن شاء الله- ومن أئمة المالكية، أما ابن عربي المُنكّر، فهو النكِرة النَّكْراء الذي أتى كما قال شيخ الإسلام بكفر لم يأت به كفار قريش حيث زعم أنه هو والله شيء واحد، وأن الكون كله شيء واحد، والخالق والمخلوق على حد سواء، هذه وحدة الوجود من يعتقد وحدة الوجود فهو مرتد ولو لبس جلابيته» اهـ. انظر: «**براءة علماء الأمة**» للسناني (ص٦٢-٦٤)، وانظر حول هذا الموضوع: «**المورد العذب الزلال في أخطاء الظلال**» للشيخ عبد الله بن محمد الدويش -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- و«**أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب**» للشيخ ربيع المدخلي -حَفِظَهُ اللهُ-.

آلهتهم المتعددة لم يطيقوا أن يخلصوا سريرتهم لهذا التوحيد في النصرانية، ومن ثم بدأت تلك الأساطير؛ وشيئا فشيئا صارت هي النصرانية كما تعرفها الكنيسة، أي: النصرانية الرسمية التي يشرد من لا يعتنقها ويكتب عليه الحرمان!

ولكن صيرورة النصرانية إلى هذا الوضع أوقعت المثقفين من النصارى في قلق نفسي وفكري دائم. فهم إما أن يستجيبوا لمنطقهم فيخرجهم من عداد المؤمنين إلى عداد الملحدين؛ وإما أن يلغوا عقولهم ليحتفظوا بعقيدة هذه الأساطير التي تحميها الكنيسة، وإما أن يكلوا أنفسهم إلى القلق الروحي الدائم بين جوعتهم إلى العقيدة، ومنطقهم الذي ينفر من تلك الأساطير!

وفي الإسلام كاد يحدث ما حدث في النصرانية، فالرغبة البشرية في الأساطير والتهاويل ظلت تحاول أن تغشى على وضوح الإسلام وبساطته، وظلت تصوغ حول محمد بن عبد الله، وحول المختارين من آل بيته وبخاصة الحسين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-... ظلت تصوغ الخرافات والهالات التي تأباها طبيعة الإسلام، وظلت تجد عند العامة قبولا لا تجده حقائق الإسلام الواضحة البسيطة!

ولكن بناء الإسلام ذاته بقي سليما، وأصوله بقيت محفوظة، فلقد كانت طبيعته من الوضوح والبساطة بحيث بقيت هذه التهاويل والأساطير تتناثر على هامشه، ولا تدخل في بنيته.

في النصرانية قادت الكنيسة ذاتها هذه التهاويل وتبنتها؛ لأنها تزيد من سلطانها على نفوس الجماهير؛ وكان تعقيد العقيدة، وإحاطتها بأجواء من الغموض غرضا مقصودا لتكون للكنيسة في حياة الناس وظيفة. وإلا فلو ظلت العقيدة المسيحية بسيطة كما هي واضحة كما هي مفهومة كما هي... فماذا يصنع رجال الدين؟ وما حاجة الناس إليهم إذا استطاعوا هم بأنفسهم أن يفهموا دينهم، وأن يمارسوا شعائرهم، وأن يتصلوا مباشرة بخالقهم؟! إنه لا بد من هذا الغموض. لا بد من هذه الرؤى والأحلام والأساطير؛ كي يلجأ الناس إلى الكنيسة دائما، تحل لهم رموز العقيدة، وتكشف لهم بحساب عن الأسرار. وبذلك يبقى سلطان الكنيسة كاملا، وتبقى سلطتها كاملة، ولا يملك الناس أن يخطوا خطوة في حياتهم الدينية، وفي حياتهم الروحية إلا ومعهم قسيس أو قديس!

أما في الإسلام فلم تكن هناك كنيسة. لم تكن هناك هيئة «إكليروس» لا تقام شعائر الدين بدونها ولا يتصل الفرد بخالقه إلا عن طريقها. والإسلام هو المنقذ للفكر البشري لا من الأسطورة والوهم وحدهما بل كذلك من ضغط المعجزة المادية الخارقة للنواميس الكونية المعروفة. فلم يشأ لهذا أن يجبر الفكر البشري على الإذعان له بالخوارق المادية. إنما جعل وسيلته إلى الإدراك البشري وضوحه وبساطته وحقائقه... وحينما اتفق أن كسفت الشمس يوم وفاة إبراهيم -ابن محمد الرسول- وضج الناس للحادث، وقالوا: كسفت الشمس لموت إبراهيم... بادر محمد ﷺ لنفي هذه الشبهة، كي لا تغشى وضوح العقيدة ونصوعها، وأعلن أن الشمس آية من آيات الله لا تنكسف لموت بشر.

وبذلك الحزم الصارم، والصدق الناصع، نهى الناس عن الاستسلام للرغبة الكامنة في نفوسهم في التهاويل الغامضة، ولم يسايرها ولم يستغلها لنشر دينه الجديد؛ لأنها في صميمها مناقضة لطبيعة الدين الجديد.

وبهذه النصاعة وهذا الوضوح يعقد الإسلام السلام بين منطق الفرد وعقيدته، فلا يثور في نفسه ذلك القلق المضني الذي تثيره نصرانية الكنيسة المحرفة. ونظائرها من العقائد التي تمتزج فيها الحقيقة بالأسطورة. ويختلط فيها الحق بالباطل، وتتوارى من النور والوضوح، فلا تعيش إلا في جو البخور والتراتيل؛ لأنها تهرب من الضوء وتخشى أن تلقاه.

نعم. إن القطيع البشري كان في حاجة ملحة، وهو يواجه الكون العريض، والطبيعة الهائلة... أن يحس إلهه قريبا منه، معنيا بآلامه وآماله، فجاء الكثير من أساطير النصرانية الكنيسة ليلبي هذه الرغبة العميقة، فأنزل الله -سُبْحَانَهُ- من عليائه ليحتمل الآلام تكفيرا عن خطيئة آدم، أو جعل ابنه الوحيد يحتملها رحمة بالبشر... إلى آخر تلك الألغاز المحيرة للمنطق المقلقة للضمير. فأما الإسلام فيلبي هذه الحاجة، ولكن بما يتفق مع ألوهية الإله ووحدانيته. يلبيها بإشعار الإنسان أن الله قريب منه مستجيب له، لا يغفل عن رعايته ولا ينساه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦]...﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]... ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ

ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]... ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]... ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

وهكذا يجد الإنسان صلته الوثيقة بالله، ويحس رحمته ورعايته واستجابته دون ما حاجة إلى الأساطير المحيرة للعقول» اهـ[1].

ويزيد الأمر وضوحا ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «**محاضرات في النصرانية**» (ص١٦) حيث قال: «ولقد كانت دعوة المسيح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا توسط بين العابد والمعبود، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه، من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما، وليس شخص -مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه- وسيطا بين العبد والرب في عبادته، وتعرف أحكام شرعه مما أنزل الله على عيسى من كتاب، وما أثر عنه من وصايا، وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ» اهـ.

هذا، وليس فيما اعتمد عليه ذاك الغمر لا من قريب ولا بعيد ولو من طرف خفي نسبة القول بوحدة الوجود للشيخ محمد أمان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

(١) انظر: «**السلام العالمي**» (ص٤٠-٤٤)، وانظر أيضا: «**كيف ندعو الناس**» لمحمد قطب (ص٢٧).

أخي القارئ:

ندعك تقرأ ما كتبه الشيخ العلامة محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حول وحدة الوجود ودعاتها من الصوفية المخرفين، ومنه تعلم صدق أو كذب المدعي فيما ادعاه واعتمد عليه.

١ . قال الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«أهداف مشايخ الصوفية في دعوتهم

يهدف القوم في الغالب الكثير باسم الدعوة إلى الإسلام يهدفون إلى الأمور الآتية:

١ . تسخير العوام واستخدامهم في مصالحهم الخاصة بدعوى أنهم أهل الله وخاصته فيجب على الناس جميعًا أن يخضعوا لهم ويكونوا طوع أمرهم مهما كلفهم الأمر وإن لم يكونوا كذلك فهم مهددون بسلب إيمانهم وسوء الخاتمة.

وتفاديًا لهذا الخطر الجسيم يبالغ عوام المسلمين في الخضوع لهم إلى حد العبادة وهذا أحد مفاهيم الدعوة إلى الإسلام عند القوم فما رأي القارئ الكريم؟

وانطلاقًا من هذا المفهوم تقول قاعدة صوفية معروفة:

يجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، مسلوب الحرية والاختيار. فاقد الإرادة والحركة حتى حركة الضمير وحديث

النفس؛ لأن من صفات الشيخ معرفة، ما في الضمائر، ومن خرج على هذه القاعدة يكون عرضة لغضب الشيخ، ومن يحلل عليه غضبه فقد هلك.

٢. تزهيد الناس في علماء الشريعة وطلاب علم الكتاب والسنة بدعوى أنهم أهل الحقيقة والعلماء أهل الشريعة أو هم أهل الباطن والعلماء أهل الظاهر وعلوم الشريعة قشور غير نافعة ما لم يكن في داخلها اللب الذي عند الصوفية وهو ما يسمونه بالعلم بالباطن أو العلم اللدني. وهذا كما ترى محاربة سافرة لما جاء به رسول الله -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- من علم الكتاب والسنة ومحادة لله ولرسوله من حيث لا يشعرون أو من حيث يشعرون أحيانًا.

٣. أنهم يسعون مشمرين عن ساعد الجد للوصول إلى ما يسمونه بالحرية المطلقة وهي التحلل الكلي من جميع التكاليف وهو **دين وحدة الوجود** ويعدون بعض الملاحدة كابن عربي وابن الفارض من أقطابهم ويحاولون الوصول إلى ما وصلوا إليه من الزندقة والخروج على الكتاب والسنة، ويلقبون هؤلاء الزنادقة بالألقاب الآتية:

الواصلون: العارفون بالله. الأقطاب، وأخيرًا الغوث الأعظم. ما أعظم الفرية؟ وكأن الغوث لا يجمع في اصطلاح القوم ولا مشاحة في الاصطلاح.

وبعد: فهل يجوز -والحال كما وصفت- اعتبار مشايخ الصوفية من دعاة الإسلام؟ كما يحلوا لبعضهم اعتبارهم من الدعاة ومن الممثلين للمسلمين لدى

الأجانب كما يسميهم بعض المخدوعين بهم؟ إن هذا الاعتبار والتمثيل قد شوه جمال الإسلام لدى غير المسلمين، وقضى على سماحته؛ لأنهم أظهروا الإسلام بمظهر طقوس وثنية واستغلالية، ومكنوا بذلك لأعداء الإسلام أن ينالوا من الإسلام أيما نيل، لهذا كله لا أبيح لنفسي، ولا لمن يسمع نصيحتي، القول بأنهم من دعاة الإسلام، بل الذي يجب أن يقال: لبيان الواقع ولكشف الحقائق أنهم دعوا الناس إلى عبادة مشايخهم وأقطابهم، وصرفوا الناس عن المفهوم الصحيح للإسلام، وقد يقول قائل منهم إنهم قد أدخلوا كثيرًا من الوثنيين في الإسلام.

الجواب حقًا أنهم أخرجوهم من الوثنية السافرة وأدخلوهم في الوثنية المقنعة بعد أن أطلقوا عليها اسم الإسلام لتقبل وتستساغ.

أما الإسلام بمفهومه الصحيح، فهم في معزل عنه فضلًا عن أن يدخلوا غيرهم في صميمه، وأنى لهم ذلك. إذ «فاقد الشيء لا يعطيه».

ولا شك أن هذا التخبط نتيجة لإهمال دعاة الإسلام واجبهم وتقصيرهم في أداء واجب الدعوة الإسلامية كما يجب. لذا هم يتحملون تبعة ذلك كله؛ لأنهم مع فهمهم وقدرتهم تركوا المجال لغيرهم، حتى خلا الجو لمشايخ الصوفية ومن تبعهم بغير إحسان.

خلا لك الجو فبيض واصفري ۞۞۞ ونقـري مـا شـئت أن تنقـري

وخشية أن يقول قائل -ولو في نفسه- إن كل ما ذكرته من أوصاف القوم وأحوالهم نعتبره دعوى. وهل لديك دليل على ما زعمت؟ خشية أن يرد هذا

النوع من التعليق، لنسمع معًا بيتين لبعض أقطابهم أحدهما لابن الفارض حيث زعم أنه **اتحد مع الله**، بحيث لو صلى فإنما يصلي لنفسه فسجوده لنفسه وركوعه له وهكذا، وذلك إذ يقول:

لهـا صــلواتي بالمقــام أقيمهــا ❁❁❁ واشــهد فيهــا أنهــا لــي صــلت

والبيت من تائيته المشهورة التي يطرب مشايخ الصوفية عند قراءتها: فأنت ترى إنه يزعم أنه صار ربًا وعبدًا في وقت واحد، عبدًا يصلي وربًّا يُصلَّى له، وقد صرح بهذا المعنى أحد رؤسائهم -أحسبه ابن عربي- إذ يقول:

الـــرب عبـــد والعبـــد رب ❁❁❁ فيـا ليـت شـعري مـن المكلـف

هذه هي المنزلة التي يشمر لها كل شيخ من مشايخ الصوفية كما يعرف ذلك كل من له اتصال بالقوم. وهل يمكن إدخال هذا المعنى في مفهوم الدعوة الإسلامية؟!

وأما البيت الثالث، فقد قاله الكولخي الإفريقي، وهو يدعو الناس إلى تقديس نفسه، والغلو فيه إلى حد العبادة زاعمًا أن محبته ورؤيته توجبان للمرء دخول الجنة ولا محالة حيث يقول:

ومـــن أحبنـــي ومـــن رآني ❁❁❁ في جنـــة الخلـــد بـــلا بهتـــان

وأكتفي بهذا النموذج من كلام القوم كشاهد وكدليل على ما ذكرت من شطحاتهم، وما أوردت من أحوالهم وصفاتهم، ومن أراد المزيد فعليه بكتب القوم وهي منشورة في مناطقها. والله المستعان.

ومن هذا الشرح الموجز نتبين أن الإسلام دخل القارة أول ما دخل بمفهومه الصحيح، وخالطت بشاشته القلوب، وذاقت حلاوته، ثم بعد فترة غير قصيرة أخذ ينتشر على أيدي جماعة تتمتع بحب الإسلام وحب الخير والهداية للمسلمين، ولكنها لم تهضم الإسلام، ولن تفهمه حق فهمه، وهم التجار.

ولما رأى المشايخ الصوفية خلو الميدان وتقاعس دعاة الحق عن واجبهم نزلوا الميدان، ولقبوا أنفسهم بما سبق أن سمعناه من الألقاب الخداعة، فنزلوا ميدان الدعوة إلى الإسلام ليتاجروا بالدين وليجعلوا الإسلام واجهة لدعوتهم الوثنية أو الإلحادية أحيانًا على ما تقدم. فأفسدوها حتى صار أتباعهم ومريدوهم يخشونهم كخشية الله أو أشد خشية ويراقبونهم أشد من مراقبتهم لله، هل هذا هو الدين؟ وهل هذه هي الدعوة إلى الإسلام؟ وأي إسلام هذا؟ يا سبحان الله!

وللأسف الشديد هذا هو مفهوم الدين الإسلامي عند جمهور المسلمين الذين تلقوا الإسلام على أيدي مشايخ الطرق ولدى كثير من الذين يحسنون الظن بهم. والذي يؤسف له أكثر وأكثر أن يكون هذا موقف بعض علماء المسلمين الذين درسوا ما جاء به الرسول -عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ-، ولكنهم لم يرزقوا الفقه في الدين، ومن يرد الله به خيرًا يفقه في الدين. والدراسة شيء والفقه شيء آخر.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وله الحمد والمنة وحده، ربنا لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» اهـ[١].

---

(١) انظر: «مجموع رسائل الجامي» (ص٣١٧-٣٢٠).

٢. قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«وإذا استقرأنا كتاب الله والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وآثار سلف الأمة، وتتبعنا واقع الناس في كل زمان ومكان، نجد المشبهة فريقين لا ثالث لهما:

الفريق الأول: مشبهة الخالق -تعالى- بخلقه في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله؛ كأتباع هشام بن حكم وغيرهم، الذين يقولون: إن الله -تعالى- على هيئة كذا وكذا، بل يقولون -في وقاحة وصلف-: إنه -تعالى- على هيئة الشاب الحسن! هكذا يفعل الهوى بأهله، و«وإذا لم تستح؛ فاصنع ما شئت»، ويقولون في صفات الله: إنها كصفات خلقه إذ لا يعقل خلاف ذلك في زعمهم...

وأما الفريق الثاني من المشبهة؛ فهم الذين يشبهون المخلوق بالخالق -عَزَّوَجَلَّ-، والذين يمنحون سادتهم ومشايخهم كثيرًا من صفات الله -عَزَّوَجَلَّ-، أدركوا ذلك أو لم يدركوا؛ كالذين يعتقدون أن الشيخ المربي العارف بالله -على حد تعبيرهم- يعلم الغيب وما تخفي صدور المريدين والدراوشة الكادحين في خدمته؛ اتباعًا لتعاليم تصدرها [مشيخة الصوفية] قديمًا وحديثًا، والتي منها: على المريد أن يحفظ خواطر نفسه وخلجات ضميره في حضرة الشيخ المربي؛ لئلا يطلع الشيخ على تلك الخواطر في نفسه، فيهلك المريد، أو يحرم الترقي على الأقل؛ إذ لا يحصل شيء من الخير والترقي وغيره **إلا بواسطة الشيخ المربي في دين الصوفية**؛ كما يعلم الدارس.

وهناك عندهم كلام يجري مجرى الأمثال، وهو قولهم: «فليكن المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل؛ فاقد الإرادة والحركة؛ إلا بتحريك الشيخ المربي فيما يهواه».

وهذا من ضمن التعليمات التي تصدرها [مشيخة الصوفية]، وهي تعليمات وثنية، تدعو إلى عبادة غير الله كما ترى، حيث يجعلون الشيخ المربي عالمًا بكل شيء، قادرًا على كل شيء، وهو قادر على التصرف في الكون، وخصوصًا بعد وفاته؛ لأنه في حياته قد تشغله الخدمة -على حد تعبيرهم (يعنون: العبادة)-، وأما بعد وفاته؛ فقد تفرغ لنفع مريديه، والتصرف في شؤونهم، وجلب الخير لهم، ودفع الضر عنهم!

إنها أقبح من وثنية المشركين الأولين:

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وهي عقيدة تحملها كتبهم ويعتقدها أتباعهم والمؤمنون بهم والمتعاطفون معهم.

وهذا النوع من التشبيه، وإن كان لا يدرك كثير من الناس أنه تشبيه؛ ولكنه في واقعه تشبيه خطير وكفر بالله ورسوله وبكتابه الذي يقول الله فيه:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٥].

وهذا التشبيه هو دين المتصوفة الغلاة، الذين يصل بهم الغلو أحيانًا **إلى القول بالحلول، بل بوحدة الوجود**، فيمثل هذه الملة من سموه محيي الدين بن عربي الطائي، رئيس وحدة الوجود، الذي يقول فيه بعض أهل العلم: إن كفره أشد وأقبح من كفر قريش قبل الإسلام.

وهو القائل: ليس في الجبة إلا الله!

وهو القائل:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ❁❁❁ وما الله إلا راهب في كنيسة

وله أتباع من الصوفية، ويشبهه في كفره هذا ابن الفارض، وابن عجيبة، وابن سبعين، والحلاج، وأمثالهم في الإلحاد[1].

وإمعانا منهم في الكفر والبعد عن حقيقة الدين يلقبون كبراءهم بهذه الألقاب التي تنبئ عن الشرك عند نطقها أو سماعها:

١. الغوث الأعظم.

٢. القطب، أو قطب الزمان.

٣. الأوتاد.

---

(١) ومن أراد الاطلاع على هذه الملة بالتفصيل؛ فلينظر في كتاب: «**فصوص الحكم**»، و«**الفتوحات المكية**»، كلاهما لابن عربي الطائي. ولمعرفة ما أشرنا إليه راجع: «**هذه هي الصوفية**» للشيخ عبد الرحمن الوكيل، و«**مصرع التصوف**» للبقاعي، وهذا الأخير من علماء القرن السابع الهجري.

... وغير ذلك من الألقاب» اهـ[(١)].

٣. تكلم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الأولياء والأمور الخارقة على أيدي أولياء الشيطان، فقال:

«فالطائفة الأولى المستدرجة والأخرى السحرة، وهم المعروفون عند السذج من عامة المسلمين أنهم أصحاب الكرامات. ولما أدرك القوم أنه قد انطلى على العوام باطلهم هذا لفرط جهل العوام وبعدهم عن الثقافة الإسلامية، استغلوا فيهم هذا الجهل وتلك السذاجة، فاتخذوا الولاية المزعومة بابًا من أبواب الدجل، فكما يطور أهل العلم معلوماتهم، وأرباب المهن والصناعات مهنهم وصناعاتهم، حتى ينتجوا أحدث المصنوعات، كذلك يطور هؤلاء الأولياء دجلهم وخداعهم ليطير صيتهم وتزداد شهرتهم، فيرتفع بذلك دجلهم. وهذا الدجل هو الغاية عند القوم من دعوى الولاية والكرامة ومن الخداع المتطور.

ومن أحدث أساليبهم المتطورة في هذا العصر أن زعم بعضهم أن هذه التكاليف الشرعية من امتثال المأمورات واجتناب المنهيات أمور مؤقتة، ولها حد تنتهي إليه، ثم تسقط. وزعم هذا الزاعم أنه قد وصل تلك المنزلة، فسقطت

(١) انظر: «مجموع رسائل الجامي» (ص٥٣-٦١).

عنه جميع الواجبات، وأبيحت له جميع المحرمات، بحيث لا يقال في حقه هذا حرام أو حلال. أو هذا واجب وهذا مستحب. وهو يحاول بذلك أن يقتفي أثر رئيس الملاحدة **وقطب وحدة الوجود** ابن عربي الطائي وشاعر تلك الملة ابن الفارض، ويحذو حذوهما. وتبدو الفكرة جديدة ومتطورة لدى كثير من الناس لغرابتها، ولما أدخل عليها من بعض الزخرفة والزركشة، حتى ظهرت الفكرة كأنها فكرة حديثة، وهي في أصلها **فكرة قديمة قدم كفر وحدة الوجود التي منشؤها تعطيل الصفات على طريقة الجهمية المعروفة، وهي فكرة يؤمن بها كل صوفي** -وللأسف- ويسعى لها بأنواع من المجاهدة في زعمهم، وهو سر انتقادنا للصوفية وشطحاتهم، وما يؤخذ عليهم كثير جدًّا لو وسعنا التعداد. **ولا يشك كل من له أدنى فقه في الدين أن فكرة وحدة الوجود ملة مغايرة للإسلام،** وآخر التطورات التي علمناها في هذا الخصوص دعوى محمود محمد طه السوداني، حيث زعم أن تلك الفكرة الإلحادية التي يدعو إليها هي مضمون الرسالة الثانية من الرسالتين المحمديتين على حد زعمه، حيث زعم أن الرسول -عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- بعث برسالتين اثنتين.

أما الرسالة الأولى فقد بلغها. وأما الرسالة الثانية فلم يبلغها، ويعلل ذلك بقوله: إن القوم الذين بعث فيهم رسول الله، أول ما بعث، ليسوا على استعداد لفهمها والعمل بها؛ لأن مستواهم العقلي لا يؤهلهم لفهمها. أما الآن وقد

نضجت العقول، وتقدم الفكر البشري، قد آن الأوان للدعوة إليها والعمل بها إلى آخر تلك الجعجعة المثيرة للضحك والبكاء في وقت واحد. نعم، إنها تثير الضحك إذا نظرت إليها ككلام ساقط ليس له أي قيمة علمية، وإنما هو هذيان لا ينطلي على العقلاء، ومثير للبكاء حيث وصلنا نحن المسلمين إلى هذا المستوى من البرودة وضعف الغيرة على شريعة الله يتلاعب بها أمثال محمود، ولا يجد رادعًا يوقفه عند حده، بل لا توجد غضبة إسلامية يحسب لها حساب في المجالات الرسمية. والله المستعان.

ولعل بعض الحضور يحسب أنني أتحدث عن أساطير الأولين. وليس الأمر كذلك، بل إن صاحب هذه الدعوة حي يرزق بمقربة منا في السودان -كما قلت آنفًا، ولا يزال- يعمل جادًا لهدم الرسالة الأولى، وليقيم على أنقاضها الرسالة الثانية المزعومة -لو استطاع سبيلا-، وفي الواقع أن الرجل مدع للنبوة، ولكنه لم يستطع التصريح بها خشية أن يغضب الشعب السوداني غضبة إسلامية، فتكون نهاية له، لكنه لدهائه ولباقته استطاع أن يتظاهر بمظهر المصلح المجدد: علمًا بأنه ليس لديه أي جديد، بل تنحصر فكرته في عقيدة **وحدة الوجود** التي يرأسها ابن عربي الطائي الملقب بمحيي الدين مع عاشقهم المعروف بابن الفارض ومن يدور في فلكهما -كما سبق أن أشرت- مع محاولة السير مع الوادي حيثما توجه، شرق أم غرب كعادة المحترفين باسم الدين أو التجديد.

والمسألة في الأصل -كما قلت- نتيجة حتمية لعقيدة غلاة الجهمية الذين يعطلون جميع صفات الرب -تعالى- وأسمائه، حتى لا يبقى هناك إلا ذات مجردة عن جميع الصفات والأسماء التي لا يتصور لها وجود في الخارج، أي: خارج الذهن، وإنما يتصوره الذهن كما يتصور المحال والأمور الخيالية، **وهذه العقيدة هي التي أفضت بالقوم إلى القول بالحلول والاتحاد ليتحقق وجود الله خارج الأذهان حالًّا في مخلوقاته ومتحدًا معهم. هذا منشأ الحلول والاتحاد الذي هو آخر منزلة تنتهي إليها الصوفية، ولها يسعون، وفيها يتنافس المتنافسون منهم**. وهذه الفكرة كفر باتفاق المسلمين؛ لأنها تجعل الرب -سبحانه- حالًّا في مخلوقاته، بل يرى شارح الطحاوية أن فكرة الحلول والاتحاد أقبح من كفر النصارى؛ لأن النصارى خصوا الحلول بالمسيح، وهؤلاء عمموا جميع المخلوقات، وقديمًا قال زعيمهم ابن عربي:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ❁❁❁ وما الله إلا راهب في كنيسة

هذا ما ينتهي إليه أولياء الشيطان، وما قبل هذه المنزلة وسائل مفضية إلى هذه الغاية، وما أرخصها من غاية، وما أقبحها من كفر. وهو داء لا علاج له إلا آخر العلاج وآخر العلاج الكي، فلا يردع هذا الإلحاد إلا قوة السلطان؛ لأن الله

يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال عمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، ولكن أين قوة السلطان اليوم؟ إلا ما شاء الله» اهـ[١].

٤. **قال** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«وأما ابن الفارض فقد تحدث عن دين الصوفية بإسهاب في تائيته الكبرى، ودين الصوفية الذي انتهى إليه كبار الصوفية ويشمر عن ساعد الجد صغار الصوفية للوصول إليه هو **وحدة الوجود واعتقاد أن الله** -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- **عين هذا الوجود، وهي زندقة** تحملها أبيات تائية لابن الفارض، فلنسمع بعضها، إذ يقول ما هو كفر بواح لدى كل فقيه:

فقد رفعت تاء المخاطب بيننا ❁❁❁ وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
ولا فلك إلا ومن نور باطني ❁❁❁ به ملك يهدي الهدى بمشيئتي
ولا قطر إلا حل من فيض ❁❁❁ به قطرة عنها السحائب سحت
ولولاي لم يوجد وجود ولم ❁❁❁ شهود ولم تعهد عهود بذمة
ولا حي إلا من حياتي حياته ❁❁❁ وطوع مرادي كل نفس مريدة

فماذا يحكم القارئ على من هذا كلامه، وهو يفتري أن ملكوت كل شيء بيده، وأن الوجود كله قطرة من فيض جوده، وأن كل شيء طوع هواه.

---

(١) انظر: «**مجموع رسائل الجامي**» (ص١٢٦-١٢٨).

فلنسمع مرة أخرى أيها القارئ إلى فرية لابن الفارض، إذ يزعم أن جميع الصلوات التي يؤديها العباد والنساك في جميع الجهات الست وتلك المناسك التي ينسكها الحجاج والمعتمرون إنما ترفع في الحقيقة إلى ابن الفارض من حيث لا يشعر أولئك العباد والحجاج والعمار والطائفون بالبيت العتيق، بل إنه نفسه إنما يصلي -لو كانت له صلاة- لنفسه، وذلك يقول:

وكل الجهات الست نحوي توجهت ❁❁❁ بما تم من نسك وحج وعمرة

لها صلواتي بالمقام أقيمها ❁❁❁ واشهد فيها أنها لي صلت

ولا يزال يكرر مزاعمه التي ضلل بها كثيرا من السذج، فيزعم أنه ليس في هذا الوجود متناقضات ولا أضداد أو أغيار أو أمثال بل الوجود كله حقيقة واحدة.

ولا يقال: «خالق ومخلوق» أو «رب ومربوب» أو «عابد ومعبود»، وذلك حيث يقول:

تعانقت الأطراف عندي وانطوى ❁❁❁ بساط السوي عدلا بحكم السوية

ثم صرح بأنه هو المعبود الذي يصلي له كل مصل، ويسجد له كل ساجد، فيقول:

كلانا مصل واحد ساجد إلى ❁❁❁ حقيقة بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن ❁❁❁ صـــلاتي لغيـــري في أداء كـــل

وهذا الهذيان المارق قد صرح به شيخهم الأكبر والزنديق الأكفر ابن عربي الطائي إذ يقول مستخدما أسلوب التقديس تلبيسا على الأغمار:

«سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها تعالى الله عما زعم علوا كبيرا إذ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

وقال أيضا في موضع آخر من فتوحاته: «إن العارف من يرى الحق الله في كل شيء بل يراه عين كل شيء».

وترى الصوفية قاطبة أن هذا أدق تعريف للعارف بالله يا سبحان الله إذا سمي الكفر إيمانا والجهل معرفة والمروق وصولا! ما الذي بقي على ظواهرها؟! وإنما تكد الصوفية ليل نهار، وتقدم جميع الوسائل البدعية للوصول إلى هذه الدرجة من الكفر الذي ليس بعده كفر، ولكن باسم الوصول.

وما ذكرنا من كلام ابن عجيبة وشرحناه وما أضفنا إليه من كلام ابن الفارض وابن عربي إنما هو قطرة من بحار كفرهم، ويعرف ذلك بالاطلاع على «**فصوص الحكم**» و«**الفتوحات المكية**»، وهما لابن عربي، وما جاء في «**التائية الكبرى**» لابن الفارض، وما ورد في «**إيقاظ الهمم في شرح الحكم**» لابن عجيبة،

وغيرها من الكتب التي كتبها المؤمنون بهم والمدافعون عن معتقداتهم، وهي كثيرة.

هذا، وبرهان الدين البقاعي الذي كان يعيش في القرن التاسع الهجري قد ألف كتابا سماه «**تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي**» وكتابا آخر «**تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد**». وقد دمجها في كتاب واحد الشيخ السلفي الداعية عبد الرحمن الوكيل، والكتاب ينقد التصوف نقدا قاتلا -كما يقول الشيخ الوكيل-. فجزى الله البقاعي والوكيل خير الجزاء على ما قدما من بيان الحق ودحض الباطل ونصح القارئ والمطلع.

وللشيخ عبد الرحمن الوكيل كتاب آخر سماه «**هذه هي الصوفية**»، والكتاب فريد في بابه، وهو مع كثرة النقول المعزوة يمتاز بمعلومات أضافها الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تلك المعلومات التي اكتسبها إبان أن كان أسيرا عند الصوفية في صباه، كما يحكي الشيخ في هذا الكتاب كيف حاولت الصوفية أن تفسد فطرة الصبي، وتزين له دين الصوفية، وإبعاده عن الحظ الموصل إلى الحق، وهو الاعتصام بالكتاب والسنة، ولكن الله سلم، فهرب الصبي من الأسر، واتصل بجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة، فأنقذه الله على يد الجماعة، زادها الله من التوفيق.

ولله الحمد والمنة، فالكتاب يحمل في صفحاته معلومات خطيرة عن الصوفية، وأنا أدعو شبابنا إلى قراءة هذين الكتابين ليدركوا بأنفسهم حقيقة دين الصوفية، وأنه غير الدين الإسلامي في حقيقته، والله المستعان.

وإن كان القارئ يلاحظ أن في هذا الحكم نوعا من القسوة أو المبالغة، وإنما يرجع ذلك؛ لأنه حكم جاء مخالفا للمألوف الموروث، وأما القارئ المتجرد من مألوفات قومه بعقله الحر وله اطلاع واسع على نصوص الشريعة في باب الردة خاصة، فلا يشك أن ما تدعو إليه الصوفية من وحدة الوجود ومن دعوى حلول الرب -تعالى- في فرد من مخلوقاته، أو من دعوى الاستغناء عن الشريعة المحمدية بدعوى الأخذ عن الله مباشرة، أو نقل الأحكام من اللوح المحفوظ بالنسبة لخواصهم، فلا يتردد في تكفيرهم، وبالتالي لا يتهمنا بالمبالغة أبدا.

هذا، وقد يدّعون التأثير في الآجال والأرزاق والشقاوة والسعادة والموت على حسن الخاتمة أو سوء الخاتمة، بل التصرف المطلق في هذا الكون علويه وسفليه ومن لم يكفر هؤلاء، فهو إما كافر مثلهم أو من أجهل عباد الله، فنسأل الله له العافية.

أما البقاعي، فقد نقل في كتابه المذكور أقوال عدد كبير من أعلام القرن السابع والثامن والتاسع في تكفير ابن الفارض وابن عربي شرعا، وهي فتاوى خطيرة لها اعتبارها ووزنها عند أهل العلم.

وقد صنف البقاعي أولئك الشيوخ الذين أفتوا بكفر الزنديقين إلى طبقات مختلفة في الزمن بعد أن بين مكانة كل واحد منهم في علمه وفضله والمذهب الذي ينتسب إليه من: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وذكر منهم ٤٠ عالما وإماما بأسمائهم فليراجع كتابه لأهميته.

وخلاصة ما اعتمدوا عليه في تكفيرهم هو: أن كلام الرجلين ابن الفارض وابن عربي ومن ذهب مذهبهما مثل ابن عجيبة إنما يدور حول القول بأنهم مستغنون عن الشريعة التي جاءت في الكتاب والسنة ووصلوا بغير طريق محمد رسول الله -إلى الله- في زعمهم.

ثانيا: أنهم صرحوا بالاتحاد والحلول، وأنهم إنما يعبدون أنفسهم كما يعبدهم غيرهم، إذ ليس هناك «خالق ومخلوق» و«عابد ومعبود»، لأن الكون عين واحد وحقيقة واحدة. هذه بعض أسباب تكفيرهم وهي واضحة لدى طالب العلم.

وأما الذين لم يصلوا إلى هذه الدرجة من التصريح بوحدة الوجود، فلا يسلمون أيضا من الكفر، بل ينالهم نصيبهم مما أصاب كبارهم من الكفر لإيمانهم بذلك الكفر الذي تقدم شرحه وتوضيحه؛ لأن الرضا بالكفر كفر، وهو

أمر لا يختلف فيه فقيهان، اللهم إلا إذا كان له عذر، كأن حالت بينه وبين فهم الحقيقة شبهات، وجهل، فقبل عذره، والله أعلم» اهـ[1].



(١) انظر: «**التصوف من صور الجاهلية**» (ص٢٧٥-٢٧٩) ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد الثاني عشر سنة ١٤٠٥هـ.



الخاتمة

وبعد هذا الكلام الواضح الصريح من الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وموقفه من وحدة الوجود(١) لا أظن من له أدنى مسكة من عقل يقول غير هذا(٢) إلا إن كان صاحب هوى، فهذا لا سبيل لنا إليه إلا أن يهديه الله أو أن يقصم ظهره.

(١) هذا غيض من فيض مما صدع به في كتبه وأشرطته، وإنما قدمت نماذج تؤكد صفاء ونقاء عقيدته مما رماه به الجناة.

(٢) إذا زل الرجل من أهل السنة في مسالة عقدية جلية واضحة كبدعة الخوارج والجهمية والقدرية والجبرية... -مع أن موقفه من أهل البدع مشهور ومسطور- سقطت منزلته، فكيف بمن جمع البدع العظام، كالقول بخلق القرآن، والطعن في أنبياء الله، وسب الصحابة، والقول بوحدة الوجود؟! فلا وزن له، ولا كرامة، بل يحذر منه، ومن كتبه، ومما يدعو إليه.

ومع نصاعة هذا المنهج وسير النبلاء عليه إلا أن أقواما قلبوا الحقائق، فصار سيد قطب وما وقع فيه من البدع العظام، إضافة إلى جهله بأصول الإسلام وفروعه -ولا ينكر ذلك إلا من أشرب قلبه بالهوى- شهيدا وإمام هدى وقرينا لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ-، فيبجل ويعظم -وإن خالف الكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة في كثير من العقائد الكبيرة-، بل وتشوه صورة من يرد عليه، وإن كانوا علماء أفذاذا -عالمين بأصول الإسلام وفروعه-، يشار إليهم بالبنان بشهادة أهل البيان، كابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-.

=

وبعد هذا كله ظهر ظهورا جليا -لكل منصف- كذب المدعي في دعواه، وخيانته العلمية كافية للتدليل على ذلك، علما أن واحدة منهما -أي الكذب أو الخيانة- مسقطة للعدالة(١)، فكيف إذا اجتمعتا؟!

وفي هذا القدر كفاية لأهل النهى والفطر السليمة.

سائلًا المولى -عز شأنه وجلت قدرته- أن يتغمد الشيخ محمد أمان برحمته الواسعة، ويعلي درجته في الجنة، وأن يهدي ضال المسلمين، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

=
أليس من العدل والإنصاف -والقطبيون والسروريون لا يستخدمون هذا المبدأ مع خصومهم كعادة أهل البدع والضلال- كما قُبل سيد قطب بعجره وبجره أن يقبل قول من رد عليه بالحجج والبراهين، بل ويثنى عليه ويشكر على ما قام به، وينصح بقراءة كتبه، كما فعل مع المردود عليه، مع ملاحظة الفارق.

إذن فلماذا لا يَقبلون قول أهل العلم ويُقبِلون عليهم، ولعل السر في ذلك: أنهم يرون العلماء كفارا؛ لأنهم عملاء وجواسيس للحكام حسب تصنيفهم مع تظافرهم على منع التصنيف ورده، ويتركون أهل البدع والأهواء؟

أهذا هو الإنصاف المدعى والاتزان المبتغى! إن وراء الأكمة ما ورائها! وهذا ما نلاحظه في كتاباتهم ومناقشاتهم! هداهم الله هداهم الله!

(١) هذا وأمثاله ينطبق عليهم قول الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حيث قال: «وعلماء السلف ومن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر أهل الفقه والنظر- لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير السبيل» اهـ. انظر: «**شرح الطحاوية**» (ص٤٩١).



الفهرس

